Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن مثل هذا «التلاعب بالكلمات» (الشعوذة بالكلمات)، والتباهي بفن القدرة على التعبير عن مختلف ظلال وتدرجات الفكرة هو صفة مميزة لأدباء العصور الوسطى العرب، وفيه يبرز موقفهم التبجيلي للعقل البشري الذي يقيم، حسب تعبيرهم، العلاقة بين الإنسان و «العقل الأسمى»، بين الإنسان وبارىء الكون.

لذلك فإننا إذا ما وجهنا اللوم إلى أدباء وشعراء العصور الوسطى العرب على اهتمامهم بالصور الكلامية وعلى «اللعب بالألفاظ» وعلى «المغالاة في الزخرف» نكتشف أننا لم نفهم الأسس الجمالية لإبداعهم، إذ تعتبر العقلانية ومحاولة إخضاع الانفعال الذي ينظرون إليه على أنه تجسيد للبداية المدمرة، للعقل، حجر الأساس بالنسبة لهذا الإبداع، وهذا لا يعني أن الانفعال يستبعد نهائياً، بل يصبح بداية خاضعة، ملزمة على أن تؤول إلى معايير محددة، أي أن الانفعال يجب أن يكون «انفعالاً عقلانياً».

ومن هنا فإن الموقف الحذر والفائق الجدية من الكلمة «المنظومة» والفنية، باعتبارها أعظم بداية عاقلة كامنة في الإنسان، «فالحيوان لا يملك موهبة الكلام» هو موقف حذر وفائق الجدية. ومن هنا كانت النظرة إلى الكلمة الفنية والأدب كأكثر وسائط تشكيل الشخصية الإنسانية فعالية، والمقصود هنا الرابطة المباشرة والصريحة بين الكلمة والطبع المتشكل، المقصود هنا هو التأثير على العناصر التي يتكون منها هذا الطبع (قال إبراهيم الموصلي: مثلاً أن صوت وتر «الباص» يؤثر على البلغم، بينما يؤثر الوتر الثاني على الدم... والخ) (٣٩، ٧، ١٥٤)، وقد طرح الأدباء فكرة حول تأثير بعض الأجناس الشعرية المحددة على هذه العناصر، وقالوا إن الكلمة تؤثر تأثيراً مباشراً على هذا أو ذاك من